

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جَمَالَ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَّلَ الْقُلُوبَ بِمَحَبَّةِ عِلْمِ الْغُيُوبِ، سُبْحَانَهُ يَهْدِي لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِوَحْيِ السَّمَاءِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَ بِتَزْكِيَةِ الْقُلُوبِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْ دَنَسِ الْعِصْيَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَدَى الْقُلُوبَ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَطَرِيقُ النِّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(١)، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ نَظَرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تَصَدَّرُ عَنْهُ النِّيَّاتُ، وَتَنْتَظِقُ مِنْهُ الْمَقَاصِدُ كُلُّهَا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ وَأَقْوَالِهِ، فَصَلَاحُ الْقَلْبِ صَلَاحُ لِسَانِ الْجَسَدِ، وَفَسَادُهُ فِسَادُ لِسَانِ الْجَسَدِ، وَلَمَّا كَانَ تَطْهِيرُ الْقُلُوبِ بِهَذِهِ الْأَهْمِيَّةِ؛ رَتَّبَ اللَّهُ عَلَيْهَا النَّجَاةَ يَوْمَ الدِّينِ، وَحَصَرَهَا عَلَى أَصْحَابِ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ الطَّاهِرَةِ، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢)، وَأُورِثَ سُبْحَانَهُ الْمُتَّقِينَ جَنَّةَ النِّعِيمِ، وَحَبَاهُمْ بِالْفَضْلِ وَالْمَزِيدِ بِسَبَبِ طَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ وَصَلَاحِهَا، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾^(٣)، وَوَهَبَ اللَّهُ

(١) سورة النساء / ١٣١ .

(٢) سورة الشعراء / ٨٨-٨٩ .

(٣) سورة ق / ٣١-٣٣ .

خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْمَوَاهِبَ وَالنِّعَمَ الْكَثِيرَةَ؛ لِأَنَّهُ طَهَّرَ قَلْبَهُ وَمَلَأَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١)، وَإِذَا كَانَ صَلَاحُ الْقُلُوبِ هُوَ سَبَبُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْجَزَاءِ الْأَوْفَى فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ فَسَادَ الْقُلُوبِ سَبَبُ الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ نَفَى اللَّهُ عَنِ أَصْحَابِ هَذِهِ الصِّفَةِ كُلَّ خَيْرٍ وَتَكَرِيمٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا ضَلَّتْ قُلُوبُهُمْ تَبَدَّدَ إِحْسَاسُهُمْ، وَفَسَدَتْ مَدَارِكُهُمْ، يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ عِنَايَةَ الْمُسْلِمِ بِغَرْسِ بُذُورِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الْآثَامِ يَنْبَغِي الْأَنْتِقَالَ عَنْ عِنَايَتِهِ بِمَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ وَنَظَافَةِ بَدَنِهِ، إِذْ إِنَّ غَرْسَ خَشْيَةِ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الطَّاعَةِ فِي سُؤْيَدَاءِ الْقَلْبِ يَجْلُو مِرَاتَهُ فَتَشْعُ نُورًا، وَذَلِكَ سِرُّ جَمَالِ الْقُلُوبِ وَنَضَارَتِهَا، فَإِنَّ لَمْ يَعْتَنِ الْمَرْءُ بِغَرْسِ بُذُورِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْفَضِيلَةِ فِي قَلْبِهِ، تَوَلَّى غَيْرُهُ غَرْسَ بُذُورِ الشَّرِّ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ الَّذِي يَنْفُثُ الشَّرَّ فِي الْقُلُوبِ، فَتَنْطَلِخُ بِدَنَسِ الْمَعْصِيَةِ، فَتَضِلُّ سِوَاءَ السَّبِيلِ، ذَلِكَ أَنَّ لِلْمَعْصِيَةِ ظُلْمَةً تَحْجُبُ أَشْعَةَ الْحَقِّ وَنُورَ الْهُدَى عَنْ بَصِيرَةِ الْفُؤَادِ. إِنَّ الْقُلُوبَ - إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - بِحَاجَةٍ إِلَى تَنْقِيَةٍ وَتَعَاهُدٍ بِاسْتِمْرَارٍ، شَأْنَهَا كَثَانُ النَّوْبِ يَحْتَاجُ إِلَى غَسْلِهِ عَلَى الدَّوَامِ، مَعَ أَنَّ الثِّيَابَ مَحَلُّ نَظَرِ الْخَلْقِ، وَالْقَلْبَ مَحَلُّ نَظَرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَشَتَانَ بَيْنَ النَّظَرَيْنِ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))، أَفَلَا يَسْتَحِي الْعَبْدُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُجَمَّلَ مَظْهَرُهُ وَيُقَدَّرَ مَخْبَرُهُ؟! عَلَى أَنَّ الْجَمَالَ مَطْلُوبٌ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ مَعًا، فَهُوَ مَطْلَبٌ لَا يَنْفَصِلُ،

(١) سورة الصافات / ٨٣-٨٤ .

(٢) سورة الحج / ٤٦ .

فَالْتَزَكِيَّةُ فِي دِينِنَا الْحَنِيفِ تَتَنَاوَلُ الْإِنْسَانَ مَخْبِرًا وَمَظْهَرًا، فَالْقَلْبُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَتَعَاهَدَهُ تَقِيَّةً وَتَطْهِيرًا، فَزَكِيَّةُ بِحَمِيدِ الْخِصَالِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَتَمْلَأُهُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَنَشْغَلُهُ بِذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ، فَإِذَا شَعَّ نُورُهُ، وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ يَقِينِهِ بِخَالِقِهِ؛ تَقَبَّلَهُ جَلَّ وَعَلَا نَظِيفًا نَقِيًّا، زَكِيًّا بَهِيًّا، إِنَّهُ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي تَطَهَّرَ مِنْ أَدْرَانِ الْعِصْيَانِ، فَتَسَلَّمَ اللَّهُ مُتَقَبَّلًا، وَوَجَّهَهُ لِلْخَيْرِ، وَصَرَفَ عَنْهُ نَزَغَاتِ الْهَوَى وَمُضَلَّاتِ الْفِتَنِ، وَهَذَا هُوَ جِهَادُ النَّفْسِ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ التَّوْبَةَ وَسِيلَةً لِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ إِذَا دَخَلَتْ الْقَلْبَ أَظْلَمَتْهُ، فَإِنَّ أَتْبَعَهَا الْعَبْدُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَغَسَلَهَا بِدُمُوعِ الْأُوبَةِ وَالْإِخْبَاتِ وَالْخَشْيَةِ أَشْرَقَ قَلْبُهُ وَعَادَ سَلِيمًا نَاصِعًا، يَشْعُ فِيهِ النُّورُ، وَإِنْ أَهْمَلَهُ وَلَمْ يُدَاوِمِ عَلَى تَطْهِيرِهِ عَادَتْ خَطِيئَتُهُ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ فَيُظْلَمَ، فَلَا تَرَالُ تَعْلُوَ حَتَّى يُخْتَمَ عَلَيْهِ، فَلَا يَرَى نُورَ الْهُدَى، وَلَا تَوَثَّرَ فِيهِ الْمَوَاعِظُ، وَلَا يَرْتَدِعَ بِالزُّوْاجِرِ، فَيَتَعَامَى عَنِ الْهُدَى وَهُوَ بَيْنَ نَاطِرِيهِ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكَّتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، وَإِلِذَلِكَ عَظَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَأْنَ تَزَكِيَّةِ الْأَنْفُسِ، وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ بِأَوْكَدِ الْقَسَمِ ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٣).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

أَعْظَمُ جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ أَنْ تُعْمَرَ بِذِكْرِ اللَّهِ، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا

(١) سورة العنكبوت / ٦٩ .

(٢) سورة المطففين / ١٤ .

(٣) سورة الشمس / ٦-١٠ .

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١﴾، وَأَنْ تَتَفَكَّرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَأَنْ تَرَى آيَاتِهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، عِنْدَهَا يَطْمِئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، فَإِذَا صَادَفَ الذِّكْرُ ذَلِكَ الْقَلْبَ النَّظِيفَ الْمُشْرِقَ سَكَبَ فِيهِ مِنَ الْأَنْوَارِ مَا لَا يُحَدُّ وَصْفُهُ، فَيَنْعَكِسُ نُورُهُ عَلَى بَدَنِهِ الطَّاهِرِ، فَلَا يَزَالُ صَاحِبُهُ مُشْرِقَ الطَّلَعَةِ، مُرْهَفَ الْإِحْسَاسِ، عَمِيقَ الْإِيمَانِ. إِنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ الْمَوْصُولِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَمُرُّ عَلَى الْمَوَاقِفِ الْمُخْتَلِفَةِ بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ، وَصِدْقِ يَقِينِهِ، وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، وَعَظِيمِ تَوَكُّلِهِ، فَيُحَوِّلُهَا إِلَى مَوَاقِفِ إِيْمَانِيَّةٍ صَادِقَةٍ تُحَرِّكُ وَجْدَانَهُ، وَتَسْحَدُ إِيْمَانَهُ، وَتَسْتَعْلِي بِهِ إِلَى نِعْمَةِ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَالْآئَةِ، إِنَّهُ يَنْظُرُ بِعَيْنِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَبَصِيرَتِهِ، لَا بِمُجَرَّدِ بَصَرِهِ، فَيَتَرَاءَى لَهُ مِنْ عَظَمَةِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ، وَقُدْرَتِهِ وَبَدِيعِ خَلْقِهِ وَكَمَالِهِ مَا يَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ، لِيُعَايِشَ بِوَجْدَانِهِ عَظَمَةَ الْخَشْيَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ، وَقِمَّةَ الْيَقِينِ لِلطَّيْفِ الْخَبِيرِ. إِنَّ أَحَدَنَا لَيَعْجَبُ مِنْ جَمَالِ الْوَرْدَةِ، فَكَيْفَ بِالَّذِي سَوَّاهَا؟ وَيَرَى عَظَمَةَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَرْسَاهَا؟ وَيَرَى الرِّيَاضَ النَّضِرَاتِ، وَيَرَى أَجْنَاسَ الْكَائِنَاتِ، فَكَيْفَ بِمَنْ بَرَاهَا؟ فَاللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ وَأَعْلَى وَأَرْفَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ لِذَلِكَ عَجَزَ عَنْ وَصْفِهِ الْوَاصِفُونَ، وَحَارَ فِي عَظِيمِ صُنْعِهِ وَقُدْرَتِهِ الْمُبْصِرُونَ، وَوَجَلَ مِنْ خَشْيَتِهِ الْعَارِفُونَ، وَسَمَا إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ خَشْيَتِهِ الْعَالِمُونَ، وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ بَعْضَ بَدِيعِ صُنْعِ مَخْلُوقَاتِهِ، بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يَسْتَجْلِي أَسْرَارَهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ الْعَارِفُونَ، الَّذِينَ دَرَسُوا تَكْوِينَهَا، وَعَرَفُوا عَظَمَتَهَا، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ الْعِرْفَانُ خَشْيَةً وَإِجْلَالًا لِمَقَامِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِمَّنْ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾. إِنَّ التَّفَكُّرَ فِي آلاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَالْغَوْصَ فِي

(١) سورة الرعد / ٢٨ .

(٢) سورة فاطر / ٢٧-٢٨ .

أَعْمَاقَهَا يُضِيءُ الْبَصَائِرَ وَيُحْيِي الْقُلُوبَ، وَيَزِيدُ الْإِنْسَانَ خَشْيَةً مِنْ رَبِّهِ، وَقُرْبًا مِنْ طَاعَتِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَحْيُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّفَكُّرِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ حَوْلِكُمْ؛ فَإِنَّ عَوَائِدَ التَّفَكُّرِ وَالتَّوْبَةِ عَظِيمَةٌ، وَتِمَارُهَا يَنْعَمُ، وَكَفَى بِهَا أَنَّهَا تُذَكِّرُ بِالْخَالِقِ الْجَلِيلِ، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(١).
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَادْعُوهُ يُسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ هَادِي الْقُلُوبِ، سُبْحَانَهُ جَعَلَهَا مَنبَعَ كُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ، وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَطَهَرَ النَّاسِ قَلْبًا وَسَرِيرَةً، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ أَجْمَلَ الْقُلُوبِ أَكْثَرُهَا صَفْحًا وَعَفْوًا، وَأَفْضَلُهَا عَطَاءً وَتَضْحِيَةً وَبَدَلًا، فَالْقَلْبُ الْكَبِيرُ لَا يَعْرِفُ عَطَاؤُهُ حُدُودًا، وَلَا يَحْمِلُ لِأَحَدٍ غَلًّا وَلَا حِقْدًا، بَلْ هُوَ مُفَعَّمٌ بِالْحُبِّ وَالْإِيخَاءِ، وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ، شِعَارُهُ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، إِنَّكَ تَعْجَبُ مِمَّنْ يَضِيقُ صَدْرُهُ وَلَا يَتَسَعُّ قَلْبُهُ لِإِخْوَانِهِ، فَلَا يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ حَتَّى يَرُدَّ الصَّاعَ صَاعَيْنِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا رَضِيَ لِرَسُولِهِ ﷺ ذَلِكَ، بَلْ رَضِيَ لَهُ الْعَفْوُ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٣)، فَأَخْذُكَ لِحَقِّكَ مِمَّنْ ظَلَمَكَ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِكَ، وَلَكِنَّ الصَّبْرَ وَالصَّفْحَ

(١) سورة السجدة / ٧ .

(٢) سورة الأعراف / ١٩٩ .

(٣) سورة النحل / ١٢٦-١٢٧ .



أَعْلَى مَرْتَبَةً، وَأَرْفَعُ مَكَانَةً، وَلَيَنْظُرُ أَحَدُنَا مَاذَا يَصْنَعُ الصَّفْحُ وَالْإِحْسَانُ فِي قَلْبٍ
 مِنْ أَسَاءَ، إِنَّهُ بِلَا رَيْبٍ يُطَهِّرُهُ، وَيَقْتَلِعُ مِنْهُ الضَّغِينَةَ وَالْإِسَاءَةَ، ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ
 فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١)، وَرَوَى أَبُو أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
 عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبِضِ الْجَنَّةِ - أَي فِي أَسْفَلِهَا -
 لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ
 مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خَلْقُهُ))، وَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُنَا مِلْءَ الْأَرْضِ
 ذَهَبًا، لِيُوَلِّفَ قُلُوبًا، أَوْ لِيَدْفَعَ حَقْدًا، مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، إِلَّا بَعُونَ مِنْ اللَّهِ، ثُمَّ
 حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ، ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٢)،
 فَأَلْفَةُ الْقُلُوبِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ، وَفُرْقَتُهَا مِنْ شَرِّ الْبَلَايَا وَالنِّقَمِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْفَ
 بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنِهِمْ﴾ (٣).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلَنْتَعَاهِدْ هَذِهِ الْقُلُوبَ حَتَّى تُشْرِقَ بِنُورِ الْإِيمَانِ،
 وَنُطَهِّرَهَا مِنْ كُلِّ غِلٍّ وَشَحْنَاءٍ، وَنَمْلَأَهَا صِدْقًا وَوَفَاءً، وَالْأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ نُخْلِصَ
 نِيَاتِنَا لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، حَتَّى يَرْضَى عَنَّا، فَيَجْعَلَنَا مِنْ قَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى
 بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
 عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى
 سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
 كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،

(١) سورة فصلت / ٣٤ .

(٢) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٣) سورة الأنفال / ٦٣ .

(٤) سورة الأحزاب / ٥٦ .

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ
فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَفِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا
صَالِحًا زَكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا
طَيِّبًا وَسَعَاءً، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.